

فتح القدير

15 - { سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها } المخلفون هؤلاء المذكورون سابقا والطرف متعلق بقوله سيقول والمعنى : سيقولون عند انطلاقكم أيها المسلمون { إلى مغانم } يعني مغانم خيبر { لتأخذوها } لتحوزها { ذرونا نتبعكم } أي اتركونا نتبعكم ونشهد معكم غزوة خيبر وأصل القصة أنه لما انصرف النبي A ومن معه من المسلمين من الحديبية وعدهم ا فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون : ذرونا نتبعكم فقال ا سبحانه : { يريدون أن يبدلوا كلام ا } أي يغيروا كلام ا والمراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدلوه هو مواعيد ا لأهل الحديبية خاصة بغنيمة خيبر وقال مقاتل : يعني أمر ا لرسوله أن لا يسير معه أحد منهم وقال ابن زيد : هو قوله تعالى : { فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا } واعترض هذا ابن جرير وغيره بأن غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة والأول أولى وبه قال مجاهد وقتادة ورجحه ابن جرير وغيره قرأ الجمهور { كلام ا } وقرأ حمزة والكسائي { كلم ا } قال الجوهري : الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون أقل من ثلاث كلمات لأنه جمع كلمة مثل نبقة ونبق ثم أمر سبحانه رسوله A أن يمنعهم من الخروج معه فقال : { قل لن تتبعونا } هذا النفي هو في معنى النهي والمعنى : لا تتبعونا { كذلك قال ا من قبل } أي من قبل رجوعنا من الحديبية أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب { فسيقولون } يعني المنافقين عند سماع هذا القول وهو قوله لن تتبعونا { بل تحسدونا } أي بل ما يمنعكم من خروجنا معكم إلا الحسد لئلا نشارككم في الغنيمة وليس ذلك بقول ا كما تزعمون ثم رد ا سبحانه عليهم بقوله : { بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا } أي لا يعلمون إلا علما قليلا وهو علمهم بأمر الدنيا وقيل لا يفقهون من أمر الدين إلا فقها قليلا وهو ما يصنعونه نفاقا بطواهرهم دون بواطنهم .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وتعزروه } يعني الإجلال { وتوقروه } يعني التعظيم يعني محمدا A وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والضياء في المختارة عنه في قوله : { وتعزروه } قال : تضربوا بين يديه بالسيف وأخرج ابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد ا قال : [لما أنزلت على رسول ا A هذه الآية { وتعزروه } قال لأصحابه : ما ذاك ؟ قالوا : ا ورسوله أعلم قال : لتنصروه] وأخرج أحمد وابن مردويه عن عبادة بن الصامت قال : [بايعنا رسول ا A على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى أن نقول في الآلا تأخذنا فيه لومة لائم وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا ولنا الجنة فمن وفى الآله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه [وفي الصحيحين من حديث جابر] أنهم كانوا في بيعة الرضوان خمس عشر مائة [وفيهما عنه أنهم كانوا أربع عشرة مائة وفي البخاري من حديث قتادة عن سعيد بن المسيب أنه سأله كم كانوا في بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة فقال له : إن جابرا قال كانوا أربع عشرة مائة قال C : وهم هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة